اليأس وتداعياته في نصوص قاسم مطرود المسرحية

م.م. رافد محمود ماشي م.م. اشكان حسين غالي
كلية الفنون الجميلة/ جامعة بغداد كلية الفنون الجميلة/ جامعة بابل

Despair and its Consequences in Kasim Matrood's Drama

Asst. Lect. Rafid Mahmood Mashi Asst. Lect. Ashkan Hussain Gali
College of Fine Arts/University of Babylon
rafid834@gmail.com

Abstract

The study consists of four sections: the first one comprises the theoretical part about despair in Kasim Matrood's drama. The time limit of the research is between 1996-2007. The second section studies despair in psychology.

الملخص

ضَم البحث أربعة فصول، تضمن الفصل الأول (الإطار المنهجي) مشكلة البحث والتي تركزت في التساؤل الآتي: (ما هو اليأس وتداعياته في نصوص قاسم مطرود المسرحية؟)

وتمثلت أهمية في ان (اليأس) يعد من المواضيع المهمة التي تأخذ مأخذاً كبيراً في تجلي هموم الإنسان العراقي الذي يعاني (اليأس) في حياته اليومية. وقد تحددت الفترة الزمنية للبحث من 1996 إلى 2007، أما الفصل الثاني: الذي عني بـ(الإطار النظري) والدراسات السابقة فتضمن مبحثين. فجاء المبحث الأول معني بدراسة (اليأس) في منظور علم النفس، وتطرق الباحثان إلى الحالات المرضية التي تنطوي في ثنايا مرض (اليأس) الذي يصيب الصغار والكبار.

وقد عني المبحث الثاني بدراسة (اليأس) في المسرح العالمي الذي ضم المسرح الغربي والمسرح العربي والمسرح العراقي، وقد تطرق الباحثان إلى بعض المسرحيات التي امتازت بصفة (اليأس) في شخصياتها من خلال الحوار المسرحي. لإيضاح حالات (اليأس) العديدة، أما المبحث الثالث فقد اقتصر على المرجعيات الفكرية للكاتب المسرحي قاسم مطرود. التي استمد منها صفة (اليأس) التي تطرق لها في نصوصه المسرحية.

أما الفصل الرابع: فقد احتوى على نتائج البحث التي توصل إليها الباحث وأهمها:

1- اشد حالات اليأس هو الموت المتمثل بعملية الانتحار.كمى في الينتين (1) و(2.)
2- للعوامل البيئية اثر بالغ في شدة حالة اليأس.كما في العينة (1).
3- كان للعامل الاقتصادي اثر بالغ في تداعي اليأس.كما في العينة (2).
4- أن الأمراض النفسية التي تصيب الإنسان. ومن بينها مرض اليأس كان نتيجة قسوة الحياة على الفرد كما في شخصية الزوجة في العينة (1)
5- عاش الفرد اليائس اغتراب ذاتي. مثال الاسير في العينة (1)

كما احتوى الفصل الرابع على استنتاجات إضافة إلى تثبيت المصادر والمراجع.

اليأس: Despair

الكبت: Squelch

المرجعيات الفكرية: Intellectual reference

أولا / مشكلة البحث:

كان وما يزال للمسرح موضوعات جديرة بالنقاش والاهتمام، فمنذ نشأته الأولى، وهو يحاول إن يعالج السلبيات التي تواجه الإنسان، إضافة إلى المتناقضات التي تمس حياة المواطن في جميع أنحاء العالم على حد سواء، لكي يسلط الضوء

على قضية تعد للنقاش من خلال الشخصيات التي تجسد هذه الأفعال على خشبة المسرح، فبغض النظر عن كون ما يدور على خشبة المسرح من (كوميديا أو تراجيديا)، فهو يعالج قضية إنسانية بالدرجة الأولى.

رغم تعدد الاتجاهات الأدبية في العصر الحديث، واختلاف ألوانها ومذاهبها وتياراتها، فقد بقيت الثيمة الأساسية للمسرح المتمثلة بلونين الأبيض والأسود، أي أن هناك قوتين متصارعتين تجسد الصورة الرئيسية لنص المسرحي، ومن بين هذه الصور المتعددة التي يعالجها المسرح هي (موضوعة اليأس) التي تواجه الإنسان في تفصيلات الحياة الواقعية، التي ازدادت وبشكل ملحوظ في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحالي، وكنتائج لا كأسباب لما أفرزته الحروب على كاهل الإنسان من ويلات وكوارث، وكان النصيب الأكبر منها للإنسان العراقي.

لقد حمل المسرح العراقي العديد من الصور، من تناقضات المعيشة لحياة الإنسان العراقي (من ظلم – قهر – صبر) ما إلى ذلك من المصطلحات التي أودت بالإنسان العراقي إلى حالات اليأس، التي ألجمت الإنسان وجعلته مكبلا بقيودها. ومن خلال ما تقدم يحدد الباحثان بالتساؤل الأتي. ما هو اليأس وتداعياته في نصوص قاسم مطرود المسرحية؟

ثانياً / أهمية البحث والحاجة إليه:

1- باعتبار موضوع اليأس من المواضيع التي تأخذ مأخذا كبير في حياة الإنسان العراقي، في حياته اليومية.

2- تسليط الضوء على الأقلام العراقية المبدعة التي أرفدت المسرح العراقي، الكثير من النتاجات الأدبية.

كما انه يفيد الدارسين والمهتمين، بموضوعة اليأس، والكاتب قاسم مطرود

ثالثاً /هدف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى، (تعرف اليأس في نصوص قاسم مطرود المسرحية).

رابعاً / حدود البحث:

مكان: العراق

زمان: 1997 – 2007 م

موضوع: دراسة اليأس في نصوص قاسم مطرود المسرحية.

خامساً / تحديد المصطلحات:

1) اليأس: Despair

أ- اليأس اصطلاحاً:

(اليأس ويعني انقطاع الرجاء، وضياع الأمل، ويرادفه القنوط، تقول: ولا تقنطوا من رحمة الله، أي: لا تيأسوا. وكل يأس في القرآن الكريم فهو قنوط، إلا الذي في سورة الرعد فانه بمعنى العلم.

واليأس خطيئة دينية، لأنه كفر بنعمة الله. وخطيئة أخلاقية، لأنه اعتداء على النفس، وانتحار أدبي تدريجي، واليأس المطلق هو الموت)[1]، (واليأس حالة عاطفية حادة وغير سارة، وترتبط بالتخلي من جانب المرء عن الأمل بالنسبة لبذل الجهد بنجاح في سبيل التوصل إلى هدف أو إشباع رغبة. وقام ((شاند Shand)) بتصنيف اليأس تحت فئة العواطف المأمولة في الرغبة بينما اعتبره مارك دوجار بمثابة عاصفة مستمدة أو ناشئة من مصدر آخر)[2]

ب- التعريف الإجرائي لليأس:

هو فقدان الأمل في كل شيء. وعدم التوصل الى تحقيق رغبات الإنسان المشروعة.

(1) جميل صليبا: المعجم الفلسفي،ج2،(بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982)، ص587

(2) اسعد ارزوق: موسوعة علم النفس، مر: عبد الله عبد الدايم، (بيروت: مطابع الشرق، 1977)، ص338.

المبحث الأول

اليأس في منظور علم النفس:

إن حدوث حالة (اليأس) لايكون إلا من خلال المرض الانفعالي، إذ يعتبر (اليأس) من الأمراض النفسية التي تصيب الإنسان على اثر ما يحيط به من عوامل تساعد على نشأت هذا المرض، و"(اليأس) ما هو ألا تكرار نمط من الاضطراب العقلي المرتبط بتدمير الذات "[1] ويتسبب في حدوثه "الاضطرابات الشخصية والحالة المزاجية السيئة ونزعة تدمير الذات والغضب الجامح والشك والاتكالية، والاندفاعية والبصيرة القاصرة "[2]، أن من الأمور التي يظهر من بينها (اليأس) كمرض يصيب الإنسان هو الفشل " وإن احتمالات النجاح في أي موقف لا تكون على درجة واحدة... فالمواقف الصعبة يكون احتمال النجاح فيها ضعيفاً وعندئذ لا ينشط الدافع للعمل ويخيم على الفرد (اليأس)...[3] إن سيكولوجية (اليأس) لا تتعدى كونه مرض يصيب الأشخاص على اثر أزمة نفسية تؤدي إلى انقطاع الأمل في الشيء ألمرجي.

ويأتي (اليأس) على اثر (الكبت)* الداخلي الذي يلجأ إليه الإنسان السوي وعندما يصل إلى أعلى درجاته يحدث (اليأس) إن المريض النفسي، بمرض (اليأس) لا يعطي انطباعاً حتى بعد الفحص الدقيق، على انه مريض بمرض عقلي أو مضطرب انفعالياً. ولا هو من حيث الشكل يبدي أي اتجاه أو مظهر أو احتمالات بأنه سوف يصدر عنه، أي اضطراب بما يمليه الضمير أو العقل أو احتمالات بأنه سوف يصدر عنه ما يشير إلى التمرد وقد يعطي المريض بداء (اليأس) حجج وبراهين ممتازة لكي يثبت للآخرين انه إنسان سوي وتفكيره سليم.والمريض نفسياً بـ(اليأس) يظهر انه يمتلك على الأقل المعدل من القدرة بل غالباً ما يظهر منها ماهو أكثر من اعتيادي، وهو يبدو وانه يعي بكل وضوح ما تطيب له النفس وما يسرها كما يبدو عليه إقراره بالقوانين الخلقية وأحيانا يظهر ذكاء متفوقاً، ولكن من المحتم على الشخص اليائس انه سيفقد عمله وينفر من أصدقائه، وربما يفقد زوجته أو أطفاله[4].

ينطوي (اليأس) تحت ما يسمى بـ(سيكولوجية العمق . depth psychology)**"وكان يعتقد في الماضي إن ذهانات (اليأس) ترجع إلى اختلال التوازن الهرموني. ولكن لم يلاحظ إن الفرق غدى بين هؤلاء المرضى وبين الأسوياء من أسباب سنهم، ويبدو إن هناك تهيئاً أو استعداداً معيناً في الشخصية..."[5].

من خلال ما تقدم يستخلص الباحثان إن الأشخاص الذين يصابون بمرض (اليأس)، لديهم استعداداً لا في الإفرازات الهرمونية فقط بل إن شخصية الإنسان لها دور رئيسي في كبح أو قبول المرض. أي إن هناك عوامل مساعدة لظهور المرض من البيئة المحيطة والأسرة والضغوط التي ينصاع إليها الإنسان بطريقة لا شعورية أو عن طريق "(المسايرة conformity) تغير سلوك أو الاتجاه أو الاعتقاد (الإنسان) نتيجة للضغط الجماعي"[6].

(اليأس) مفهوم شائع الاستخدام في علم النفس ولهذا اخذ مأخذا من الأهمية في كتابات علم النفس من خلال الأسباب التي تؤدي إليه.

وهناك فروض يعرضها العلماء ومفادها " إن الغدد الصماء... لاتفرز إفرازاتها خارج الدم وإنما تفرزها داخله مسؤولة عن الأمراض النفسية في هذه الغدد... الغدة الدرقية والنخامية والصنوبرية، ولكن هذا الفرض لم يتحقق من صحته تجريبياً

(1) يوجين ليفيت وبرنارد لوبين: سيكولوجية الاكتئاب، تر: عزت عبد العظيم الطويل،(الرياض: دار المريخ للنشر،1985)، ص61
(2) المصدر السابق نفسه، ص62.
(3) جمال حسين الالوسي: علم النفس العام، (بغداد: مطبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،1988) ص195.
* (الكبت): هو النسيان اللاشعوري وهو عملية نفسية لاشعورية تتم في نطاق اللاوعي وتحول دون خروج الأفكار الصائبة والرغبات المؤلمة أو المحرمة إلى مجال الشعور والطفو على صفحة الوعي رغم بقائها على قيد الحياة والعقل في نطاق اللاشعور. ينظر: محمد محمود الجبوري: الشخصية في ضوء علم النفس، (بغداد: مطبعة دار الحكمة،1990)، ص63.
(4) محمد محمود الجبوري: المصدر السابق، ص315- 316.
** سيكولوجية العمق: جانب من جوانب علم النفس يهتم بدراسة الظواهر الخاصة باللاشعور عند تفسير الظواهر النفسية. ينظر: ـــ، مجمع اللغه العربيه، معجم علم النفس والتربية،ج1،(القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1984)، ص43.
(5) عبد الرحمن العيسوي: أمراض العصر الأمراض النفسية والسلوكية السيكوسوماتية،(الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1989)، ص257.
(6) ـــ، مجمع اللغه العربيه: معجم علم النفس والتربية، مصدر سابق، ص 32.

بعد. ولكن الحياة الشاقة في هذا العصر هي المسؤولة عن معظم حالات الأمراض النفسية وضغوط الحياة الحديثة والتنافس الحاد وشعور البعض انه لايوجد لديهم أعمال هامة يقومون بها"[1].

من النادر أو ربما من المستحيل، في هذه الحياة إن يتمكن الإنسان من تحقيق الإشباع الكامل لجميع حاجاته، أو حتى يجد نفسه دائماً في ظروف تسمح له بذلك، ولهذا يتعرض معضم الأفراد، صغاراً وكباراً، لمواقف محبطة أو مثيرة لحالة (اليأس)، ولكن بدرجات متفاوتة، تختلف باختلاف أهدافهم وتوقعاتهم، لا يتمكنون فيها من إشباع بعض احتياجاتهم. وتتكرر في الكثير من المواقف، التي يتعرض لها الإنسان، وفيما يتعلق في ذلك " قال فروي دان الصدمة الانفعالية تكون ضرراً في نتائجها المبكرة على الفرد"[2]. ولعل من الصدمات التي تساعد على ظهور مرض (اليأس) هو الفراق الذي تمثل في صور عديدة منها الموت الذي يصيب الشخص المقرب أو الفشل في قضية معينة، كل هذا يؤدي إلى ما يسمى (الضغط النفسي stress)، ويستخدم هذا المصطلح " ليصف حقيقة استجاباتنا إلى أحداث مزعجة أو مضمرة أي استجابتنا إلى ما نحسه يجري في داخل أجسادنا. فنحس معه بـ(اليأس) أو الاكتئاب"[3]، ويصاب مريض (اليأس) بنزعة (تدميرية destructiveness) موجهة إلى الفرد ذاته، دون سواة ليكون في حالة صراع مع الموقف الذي تداعى لكي يظهر مرض (اليأس) في هذا الشخص فيكون في حالة أشبه بـ(الرقص السنجي chorea)*** ليظهر السلوك الشاذ، " إن السلوك الشاذ هو كل سلوك غير متوقع . بمعنى لا تفعله الأغلبية . من فرد في مستوى عمري وثقافي معين... وبغض النظر مؤقتاً عن المعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك الشاذ، يمكننا أن نعتبر ومن الناحية النفسية كل ضعف في التلاؤم النفسي . المناعة النفسية . أو كل خلل في التوازن النفسي الذي يظهر بسلوك شاذ يمكن اعتباره مرضاً"[4]، وينصح مثل هؤلاء المرضى باللجوء إلى الطبيب النفسي لإزالة حالة التوتر من عندهم ولحمايتهم من التجارب المريرة التي مرو بها.

"ومن سمات الشخصية اليائسة، استعداده الدائم للمبالغة في الأخطار أو المخاطر المحتملة في المواقف اليومية التي حدت من تجنب بعض الأنشطة الاجتماعية أو الرياضية أو الفكرية... وقد أطلق على نمط الشخصية اليائسة الانطوائية في أحيان كثيرة نمط التجنبية المتفادية للغير أو للآخرين... إن الشخصية اليائسة وبكل ماتحمله من سمات وصفات وخصائص، هي شخصية حساسة المزاج، وقد تظهر هذه الحساسية بانفعال ظاهري سريع، رغم انه قد يكبت انفعالاته إلى حد ما في نفسه أثناء وخلال التفاعل الحذر مع الآخرين وهذا ما يدفعه إلى الابتعاد أكثر عن الاختلاط بالناس... وتشابه الشخصية اليائسة إلى حد كبير مع شخصية أخرى خصوصاً الشخصية الفصامية من حيث الابتعاد والانطواء والانعزال."[5]

والصراع هو العمل المتزامن أو المتوقت للدوافع أو الرغبات المتعارضة أو المتبادلة. وينتج عن وجود حاجتين لا يمكن سد حاجتهما في وقت واحد، يؤدي إلى التوتر الانفعالي و(اليأس) واضطراب الشخصية. والصراع هو أهم الأسباب النفسية المسؤولة عن المرض النفسي فالشخصية التي يهددها الصراع يهددها (اليأس) وتكون فريسة للمرض النفسي.

و(اليأس) كونه كون الأمراض النفسية الأخرى فله جمله من الأسباب التي تدعوا إلى ظهوره كحالة مرضية تصيب الإنسان. ويقسم الباحثان (اليأس) إلى نوعين:

(1) عبد الرحمن العيسوي: أمراض العصر الأمراض النفسية والسلوكية والسيكوسوماتية،مصدر سابق، ص167.
(2) محمود السيد أبو النيل: الأمراض السيكوسوماتية، مر: مصطفى زيور، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1984) ص110.
(3) بول مارتن: العقل المريض، تر: عبد العلي الجسماني، (لبنان: الدار العربية للعلوم، 2000) ص98.
*** الرقص السنجي: اضطراب عصبي يصيب مجموعة من العضلات برجفات قصرية لا تدوم طويلاً، ينظر: ـــ، مجمع اللغه العربيه: معجم علم النفس والتربية، مصدر سابق، ص27.
(4) هاني يحيى نصري: علم النفس، (بيروت: شركة دار الأرقم ابن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، 2010) ص86- 87.
(5) ثائر احمد غباري وخالد محمد أبو شعيرة: سيكولوجيا الشخصية (عمان: مطعبة المجتمع العربي للطباعة والنشر، 2010) ص61-62.

1. اليأس في مرحلة الشباب:

حالة تعاق فيها الرغبات الأساسية أو الحوافز أو المصالح الخاصة بالفرد، أو اعتقاد الفرد إن تحقيق هذه الرغبات والحوافز أو المصالح شيء مستحيلاً، وبمعنى آخر فان اليأس هو العملية التي تتضمن إدراك الفرد لعائق يحول دون إشباع حاجاته أو تحقيق أهدافه أو توقع وجود هذا العائق مستقبلاً. هذا وتختلف الاستجابة (لليأس) من شخص لأخر.

ويمكن تقسيم اليأس لدى الشباب إلى:

أ- اليأس الأولي: ويتضمن شعور الفرد بإلحاح الحاجة.

ب- اليأس الثانوي: ويتضمن إدراك العائق الذي يحول دون إشباع الحاجة.

ت- اليأس الايجابي: وينتج عن وجود عائق مهدد يحول دون إشباع الحاجة.

ث- اليأس السلبي: وينتج عن وجود العائق الذي يحول دون إشباع الحاجة.

ج- اليأس الداخلي (الشخصي): وينبع من صفات الفرد الداخلية مثل وجود أمراض [مستعصية مثل السرطان] أو العاهات.

ح- اليأس الخارجي (البيئي): وينبع من البيئة الخارجية المحيطة بالفرد مثل الفقر أو الموانع البيئية الأخرى [مثل الظلم] [(1)].

ويتضح من خلال ذلك إن الشخصية اليائسة، تميل إلى الانعزال، ويركن إلى التشاؤم، لايجد في حاضر الحياة لذة أو متعه، ولايجد في المستقبل أملا ينظر إليه. ويشعر بعدم القدرة على العمل. والى جانب ذلك فالشخص اليائس يتمتع بضمير حي قوي، يحاسب نفسه على الخطأ، ويلوم نفسه لأقل الأسباب. وصاحب الشخصية اليائسة يكون له الحظ الأوفر في حوادث الانتحار.

2. اليأس في سن الشيخوخة:

الشيخوخة هي المحطة الأخيرة من محطات العمر التي يمر بها الكائن الحي ومن ضمنها الإنسان وهناك تسميات أخرى كثيرة في اللغة العربية تدل على معنى الشيخوخة منها (بياض الشعر) و(ما استبان عليه تقدم العمر). "إن الشيخوخة في المجتمعات البدائية والقديمة لم تكن مشكلة هامة بالنظر للعدد القليل من الأفراد الذين وصلوا إلى هذه المرحلة، وحتى هؤلاء فقط حظوا بالرعاية والتقدير وتمتعوا بالسلطة العائلية والاجتماعية حتى نهاية حياتهم"[(2)]، وفي وقتنا الحاضر ومع تطور أصبحت مرحلة سن الشيخوخة تأخذ مساحة اكبر في العمل والتخطيط إذ إن مشاكل الشيخوخة مشاكل طبية واقتصادية واجتماعية وإنسانية.

- الشيخوخة المريضة عقلياً: أهم الإشكاليات التي تواجهها المجتمعات هي الأمراض التي تصاحب مرحلة الشيخوخة. " تأتي الأعراض العقلية في فترة الشيخوخة نتيجة

لسببين رئيسيين أولهما خرف الشيخوخة الناجم عن عمليات التلف والضمور في الخلايا العصبية. أما السبب الثاني للاضطرابات العقلية فانه يأتي عن طريق إصابة الجهاز العصبي بآفة على الدماغ سواء بصورة مباشرة كالشدة الخارجية أو النزيف أو الالتهاب. أو أثرت في الدماغ من خارجه، كالسموم والعقاقير وإفرازات وافر الجسم الضارة..."[(3)] ولعل هذه الأمور أسباب متوقعة لحدوث المرض العقلي على اثر التقدم في السن، من أقوى حالات (اليأس) التي تصيب الإنسان في مرحلة الشيخوخة هو ما يعرف بـ(ذهانات سن اليأس Involutional psychoses) التي تصيب الإنسان في سن الشيخوخة أو قبل هذه المرحلة بقليل.

(1) حامد عبد السلام زهدان: الصحة النفسية والعلاج النفسي،(القاهرة: دار المعارف، 1977)، ص 127.
(2) علي كمال: النفس انفعالاتها وأمراضها وعلاجها، ط2، (بغداد: دار واسط للدراسات والنشر والتوزيع، 1983)، ص ص660-661.
(3) علي كمال: مصدر سابق، ص662.

- ذهانات سن اليأس Involutional psychoses:

إن مجرد التفكير بان الإنسان عاجز وعديم الفائدة، هي شيء مؤلم وموجع، إن صفة سن (اليأس) لدى الذكور تختلف عن الإناث، ففي الإناث تمثل المرحلة ما بين (40–55) بالعمر، أي مرحلة انقطاع الطمث وعدم القدرة على الإنجاب، أما في الذكور، فتتمثل بين (55–65) من العمر، إذ تقل قدرة الرجل على الأعمال الشاقة إضافة إلى الضعف العام في الجسم والضعف الجنسي. "إن سن (اليأس) هو مرحلة الانحدار العقلي والفيزيقي، والذي يبدأ بتغيير الحياة. المعروف انه عند البلوغ يكتسب الفرد القدرة على الانسال أو التناسل أي إنجاب الأطفال. وعندما تتغير ظروف الحياة يفقد الفرد هذه الوضيفة وتلك القدرة ويدخل المرحلة المؤدية إلى كبر السن ثم الموت"[(1)] وهذه الأمور تقتضي في الإنسان أن يتصف بحالة يائسة، وتختلف من شخص إلى أخر حسب الفروق الفردية. " إن من أسوأ مظاهر (اليأس) تكمن في أن يقضى على مقدرتنا في التفكير والتركيز"[(2)] وذلك كون المريض يستجيب للضغط بقدر من الحزن أكثر من اللازم ويفشل في العودة إلى الحياة الطبيعية. ومن الأسباب التي تساعد على ظهور مرض (اليأس) في سن الشيخوخة هي كما يلي:

أ- أسباب حيوية:

مثل التدهور والضعف الجسمي والصحي العام

ب- أسباب نفسية:

مثل الفهم الخاطئ لسيكولوجية الشيخوخة: قد يفهم البعض الناس إن الشيخوخة معناها إن الشيخ المسن يجب إن يمشي متثاقلاً بتأوه ما دام قد وهن العظم منه واشتعل الرأس شيباً. كذلك تؤثر الأحداث الأليمة والخبرات الصادمة التي قد تهز كيان الشيخ هزاً وتهد شخصيته هداً.

ت- أسباب بيئية:

ومنها التقاعد وما يرتبط به من نقص الدخل وزيادة الفراغ قد يدخل كسبب مرسب للمشكلات النفسية، وخاصة إن الناس يربطون بين التقاعد (عن العمل) وبين التقاعد (الجسمي النفسي)، ويرون إن المسن عديم الفائدة ولاقيمة له، إن التقاعد معناه اعتزال الشيخ الحياة.[(3)]

- جنون سن اليأس Involutional Madness:

إن مرض جنون (اليأس) يدخل ضمن الاضطرابات العقلية التي يصاب الإنسان بها في مرحلة متقدمة من السن على اثر عوامل بيئية ونفسية تصاحب هذا التقدم في العمر " وجنون سن (اليأس) مرض ينتاب الإنسان في صورة اضطراب يتمثل في ردود فعل اكتئابية تتميز بالتهيج وإدانة الذات أو لومها... ويحدث هذا الاضطراب في مرحلة سن (اليأس) عندما يواجه الإنسان سلسلة من التغيرات الفسيولوجية المرتبطة بالتدهور العقلي والبدني"[(4)] إضافة إلى ذلك "إن الأعراض والعلل النفسية والعقلية كثيرة الوقوع ومتفاوتة الدرجات من الشدة في المسنين، وهي قد تظهر بصرف النظر عن وجود أو عدم وجود آفة أو علة عضوية في الدماغ تؤثر فيه.ومن أهم الأعراض النفسية شعور المسن... بعدم الاطمئنان... والركون إلى أفكار الموت والخشية منه. والتناقص في الثقة بالنفس وفي تقديرها.[(5)] ويتميز الأناس الذين يصابون بجنون الشيخوخة أو جنون سن (اليأس) فيصبحون " اقل استجابة وأكثر تمركزاً حول ذاتهم يميلون إلى التذكار وتكرار حكاية الخبرات السابقة وتضعف ذاكرته بالنسبة للحاضر بينما تظل قوية بالنسبة لخبرات الماضي، وتقل اهتماماتهم وميولهم. ويلاحظ نقص الشهية للطعام والأرق، وتقل طاقتهم وحيويتهم ويصبحوا غير قادرين على المبادأة وغير قادرين على التوافق بسهولة، ويشعرون بقلة قيمتهم في الحياة"[(6)] إن (اليأس) كونه كون أي مرض عقلي يصيب الإنسان يحتاج

(1) عبد الرحمن العيسوي: أمراض العصر، مصدر سابق، ص257
(2) دايل كارنغي: دع القلق وابدأ الحياة،(بيروت: منشورات دار ومكتبة الهلال، د.ت)، ص22.
(3) حامد عبد السلام زهدان: الصحة النفسية والعلاج النفسي، مصدر سابق، ص ص544-545.
(4) عبد الرحمن العيسوي: أمراض العصر الأمراض النفسية والسلوكية والسيكوسوكاتية، مصدر سابق، ص259.
(5) علي كمال: مصدر سابق، ص663.
(6) حامد عبد السلام زهدان: مصدر سابق، ص546.

إلى أسباب ومسببات لظهوره للسطح " وعندما يزداد المرض فان الصورة التي تؤخذ عن المريض تمتاز بـ(اليأس) الشديد وفقدان الأمل، ومن المظاهر الوجدانية البارزة الخوف والتهيج والكآبة، انكسار النفس، والهم، والكرب، وتوقع الشر في كل شيء"[1] إن (اليأس) هو جزء من حالة الاكتئاب لدى المتقدمين في العمر، ولكن يبدو إن (اليأس) المرتفع يكون لدى كبار السن مصاحب للاكتئاب. وفي مثل هذه الحالات فان (اليأس) المرتفع يمكن خفضه عندما تعالج أعراض الاكتئاب.

المبحث الثاني

اليأس في نصوص المسرح العالمي

أولا: اليأس في نصوص المسرح الغربي:

لم تدخل مفردة (اليأس) كدخيل جديد على المسرح، كإحدى مفردات التجديد التي بدأت في القرن الماضي، بل هي موضوعة طويلة الأمد، مرتبطة بمسألة القضاء والقدر، التي كانت مسيطرة على كتاب المسرحية، في زمن الإغريق. وتجلت في مسرحية (اوديب) التي كتبها (سوفوكلس)* نجد اوديب يفقأ عينيه وهو في حالة من (اليأس)، على اثر الجرم الذي ارتكبه.

امتدت فكرة (اليأس) الى يومنا هذا وتناولت الفلسفات الوجودية موضوع (اليأس) فقد نادي (كير كيجارد)** ان (اليأس) لايمكن تجنبه لأنه مفروض من قبل القدر وهذه المسألة لابد أن تصيب الإنسان كونه موجود[2].

ويرى (كير كيجارد) إن الوجود في هذه الحياة على ثلاث مستويات متمثلة بالجمالية والأخلاقية والدينية، و(اليأس) لابد أن يتغلغل فيها، فـ(اليأس) الديني ناتج من جراء الخطيئة الأولى التي يرتكبها الإنسان، ولاسبيل للتخلص من هذا (اليأس) سوى بطريقة واحدة المتمثلة بالإيمان، و(اليأس) يعد وسيلة لتفهم الحياة لكي يستطيع الإنسان أن يتفهم الحياة[3]. ويعتبر من أساسيات الحياة التي يدعو إليها كير كيجارد هو (اليأس) وان الإنسان لايمكن أن يحيى حياة هانئة من دون أن تتضمنها فكرة (اليأس). وعلى لسان شخصيات (ادوارد اولبي)*** في مسرحية قصة حديقة الحيوان التي كانت مدعاة إلى (اليأس)

بيتر: يا إلهي، يا إلهي، يا إلهي...

جيري: في النزع الأخير، لكن تعبيره يبدو عليه التغير عندئذ. تنبسط ملامحه، وبينما يختلف صوته، وقد اختلط أحيانا بالألم، إلا انه يبدو أساسا لمن زال عنه الموت[4].

إن بيتر قد طعن جيري الذي أراد إن يقتله وفي صراخ بيتر يا إلهي هي حالة (يأس) إذ إن حالة موت الإنسان هي اشد حالات (اليأس) التي يواجهها الإنسان. "و(اليأس) يفصل الإنسان من ذاته باعتباره كائناً متناهياً"[5] لابد للإنسان أن

(1) عبد الرحمن العيسوي: أمراض العصر، مصدر سابق، ص ص259 – 260.

* سوفوكلس: كاتب مسرحي يوناني ولد عام (497) ق.م وتعد أعماله من أحسن ما كتب في تمثيل (أثينا) في القرن الخامس ق.م. ينظر: احمد عثمان: الشعر الإغريقي تراثاً إنسانيا وعالمياً،(الكويت: عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،1984)،ص250 للمزيد ينظر: جميل نصيف التكريتي: قراءة وتأملات في المسرح الإغريقي، (بغداد: دار الحرية للطباعة والنشر،1985)، ص162.

** كير كيجارد: (مورين كير كيجارد سورين)1813 – 1855 رائد المذهب الوجودي في الدنيمارك، ينتمي إلى الوجودية المؤمنة ظهر تياره الفكري في ألمانيا ثم في فرنسا، أثناء الحرب العالمية الأولى. ينظر: عبد الله الخطيب، الإنسان في الفلسفة، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة،2002)، ص58

(2) جون ماكوري: الوجودية، تر: أمام عبد الفتاح أمام، مر: فؤاد زكريا، (الكويت: عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1982)، ص 16.

(3) ينظر: جاك شورون: الموت في الفكر الغربي، تر: كامل يوسف حسين، مر: أمام عبد الفتاح أمام (الكويت: عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،1984)، ص ص 256-257.

*** ادوارد اولبي: ولد عام 1928 في واشنطن من ابوين لا يعرف عنهما شيئ فقد لفظاه في أيامه الأولى وتركاه لقيطا لمن يرغب في التبني. تبناه زوجان ثريان هما: ريدي اوبلي المليونير الشهير الذي كان يملك عددا من اكبر مسارح برودواي، وزوجته فرانسيس اولبي فكانت سيدة مجتمع حسناء عملت قبل زواجها عارضة أزياء.

(4) ادوارد اولبي: قصة حديقة الحيوان، تر: علي شلش، (القاهرة: الهيئة المصرية للتأليف والنشر، 1972)، ص112.

(5) مطاع صفدي: الحرية والوجود، (بيروت: مكتبة الحياة، ب ت)، ص66.

يدخل مرحة (اليأس) وتنشق الذات عنه لكي يتعرف على ماهيتها " (اليأس) فانه يلي تحقيق الحرية"[1] بعد أن يتعرف الإنسان على ذاته لايقف الإنسان أمام شيء مجهول.

إن (المذهب الوجودي)**** يدعو إلى أن يتعرف الإنسان على ماهيته وان وجود الأشياء يأتي بعد ماهيتها إلا مع الإنسان، فلابد إن يتحقق الوجود ومن ثم يأتي تحقيق الماهية. والوجودية قائمة على فكرة الإنسان مخير وليس مسير، وان تقربه إلى الله تعالى يحرره ويريحه من حالة (اليأس)، وللوجودية الكثير من المصطلحات الجدلية التي تعتمد عليها ومنها الهجران و(اليأس)[2].

ترفض الوجودية أن يحيا الإنسان حياة هانئة دون أن يكتنفها (اليأس) التي تعده من أساسيات الحياة. و(اليأس) يكشف للإنسان إمكانية التعرف على ماهيته، ويمكن تجاوز هذا (اليأس) من خلال الإيمان بالله تعالى، لكي يتخلص من مجمل الضغوط التي تحيط به. ومن خلال مسرحية (صومائيل بكت)***** (في انتظار جودو) نجد انه يعالج قضية (اليأس) بصورة واضحة للعيان.

بوزو: ولكنك ظننتني هو

استراجون: (يتراجع أمام بوزو) هذا يعني.. أنت تفهم.. القلق..

التوتر.. الانتظار.. إنني اعترف.. لقد تصورت.. للحظة من الزمن..

بوزو: الانتظار؟ إذن فقد أنتما في انتظاره؟[3]

لقد بدأ استراجون تظهر عليه علامات (اليأس) بشكل ملحوظ من الخلال الكلام المقطع، كون انه في حالة من التوتر من جراء الانتظار، انتظار الشيء المجهول جودو، ولكن (جودو) لم يأتي ولن يأتي بتاتاً حتى ينتابهم (اليأس) كما يقول استراجون: لماذا لنشنق أنفسنا؟ [4] نجد حيرة (ويدي وجوج ولاكي وبوزو واستراجون) في حالة (يأس) من الحياة وهم في انتظار المخلص.

فلاديمير: سوف نشنق أنفسنا غداً... إلا لو جاء جودو.

استراجون: وإذا جاء؟

فلاديمير: سوف ينقذنا[5]

والسؤال الذي يحتار الجميع لإجابته من هو (جودو). أهو المخلص أهو الحياة؟ أهو الموت اهو الأمل؟ من هذا الذي ينتظره الجميع في هذه الحالة المحتدمة من (اليأس). إن مسرح العبث يدعو الإنسان إلى إن يفهم العالم من حوله، ولايدعو إلى (اليأس) والخوف من المجهول، ويدعو كذلك إلى كسر القيود والحواجز التي تكبل معصميه. وان لايقطع الأمل بالمعقول أو اللامعقول، اذا ماهو الشيء المعقول وماهو الشيء غير المعقول. وبمعنى آخر "إن مايميز الإنسان هو رؤيته المستقبلية، فهو يعيش الماضي في الحاضر من اجل المستقبل، وإذا لم يجد لنفسه مستقبلاً فانه يصاب بـ(اليأس) والاكتئاب، والعلاج النفسي الوجودي يقوم على بعث الأمل... بالمستقبل، وعندئذ يتحرر من الماضي ويستطيع أن يعيش الحاضر في امتلائه ويكون له مشروعه الذي يجاهد لتحقيقه، ويوظف من اجل تحقيق... جملة الأهداف"[6] أي أن الإنسان في علاقة جدلية، فـ(اليأس) هو شيء يعي الإنسان بمعناه، انه يتضمن ذاتاً تعي موضوعاً لهذا الوعي.

---

(1) المصدر السابق نفسه، ص67.

**** المذهب الوجودي: فلسفة نظرية ومزاج وطراز سلوكي. كانت قد نشأت على يد الفيلسوف الدنماركي كير كيجارد. وفي الحقيقة لها جذور ابعد من ذلك لدى بعض الروائيين مثل فلوبير وديستيوفسكي. وتبلورت كمذهب في أثناء الحرب العالمية الثانية وتقوم على البحث في مسالة الوجود الإنساني وعلاقته بالوجود الخارجي. ينظر: عبد الرزاق الأصفر: أشهر المذاهب الادبيه لدى الغرب (سوريا: اتحاد كتاب العرب، 1999)، ص183. للمزيد ينظر: جون ماكوري: الوجودية، تر: أمام عبد الفتاح، مر: فؤاد زكريا، (الكويت: عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شعرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1982) ص8.

(2) ينظر إبراهيم حمادة: معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، (القاهرة: مطبوعات دار الشعب، 1971) ص ص316-317.

(3)صومائيل بكت: في انتظار جودو، تر: فايز اسكندر،(مصر: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970) ص63.

(4) المصدر السابق نفسه، ص123

(5) المصدر السابق نفسه، ص124.

(6)عبد المنعم الحفني: موسوعة مدارس علم النفس،(القاهرة: مكتبة مدبولي، 1995)، ص407.

ثانيا: اليأس في نصوص المسرح العربي:

على الرغم من إن المسرح العربي صغير السن نسبياً إلى المسرح الغربي، لكنه امتلك العديد من الرموز، الذين كتبوا في جميع أنواع الدراما، مع بعض الاستعارات من المسرح الغربي إذا "إن هذا المسرح [العربي] الذي تمت ولادته في منتصف القرن الماضي [القرن التاسع عشر] على يد بعض المبدعين العرب بعد ان كان أسير المسرح الغربي"[1] فادخل العديد من المفاهيم الغربية، لكن في موضوعاتنا الحالية (اليأس) لم تكن من المفردات الغربية بل هي من المواضيع التي امتاز بها المسرح العربي بسبب ماعاناه المجتمع العربي جراء الحروب التي قدمت الويلات لهذا الشعب فكان (اليأس) جزء من المعانات التي عانها وتجسد هذا الأمر في مسرحه، كونه صورة معبرة للواقع الذي يعيشه الإنسان العربي. لقد حملت المسرحية العربية موضوعة (اليأس) منذ الكتابات الأولى على يد (مارون النقاش)* و(يعقوب صنوع)** وتتجلى موضوعة (اليأس) بصورة اوضح بعد خمسينيات القرن العشرين

"**القتيل الثاني: اتسائل إن كانت قوتنا تحفظ للاستعراضات**

الجوقة: ماذا يجدي السؤال وأنت تموت؟ ماذا يجدي السؤال وأنت من استطاب طويلاً السكوت؟"[2]

في هذه المسرحية (مسرحية طائر الخرافة) للكاتب (رياض عصمت)***، هناك شيء واضح من الأسى و(اليأس) وهذا (اليأس) المكتسب كان من جراء الاحتجاج على الواقع الذي أنتج مثل هذه الحروب. " والتعامل مع (اليأس) المكتسب من خلال النشاطات السارة، وسبل اكتساب الأمل بديلاً للتفكير السلبي والمرضي الذي يغلب على المكتئبين"[3]، وهذا ما يتجلى في مسرحية طائر الخرافة إذ إن هذه المشاعر التي تكمن اتجاه الوطن هي التي حفزت القتيل الثاني على هذا الكلام "وربما (اليأس) من مستقبل طيب يحملنا على مواصلة الحياة والكفاح من اجلها"[4] في سبيل الخروج من الواقع الذي أنتج مثل هذه الأمراض. وكان أثرها واضح على الأفراد "قد تختلف من فرد إلى آخر، فالبعض قد يتخذ لديهم... شكل أحاسيس قاسية من اللوم، وتأنيب النفس، ويجيء عند البعض الآخر مختلطاً مع شكاوى جسمانية، وأمراض بدنية بصورة قد لا نعرف الحدود بينهما. ويعبر البعض الآخر عنه في شكل مشاعر بـ(اليأس)، والتشاؤم، والملل السريع من الحياة والناس... وهكذا وربما تجتمع كل هذه الأعراض، في شخص واحد"[5] وهذه الأمور توجد في الأفراد الذين يتقدمون في ساحات القتال وهناك أمور كثيرة في حسبانهم، مثل الأهل والأبناء وما المصير الذي سوف تلقاه عائلته بعده، إضافة الواجب الوطني الذي يحتم عليه أن يدافع عن بلده، وفي مسرحية الورطة للكاتب (توفيق الحكيم)* نجد هناك نوع آخر من حالات (اليأس)، (اليأس) الذي ينتج على اثر الحالة المادية، أي (اليأس) الذي ينتج من خلال السرقة ففي هذه المسرحية

(1) حورية محمد حمو: تأصيل المسرح العربي (بين التنظير والتطبيق)، (دمشق: من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999)، ص33.

* مارون النقاش (1817-1855) تاجر لبناني، يعد أول من عمل بفن المسرح ودرب بعض اللبنانيين المقربين إليه على مزاولته ومحاولة إتقانه. ينظر حورية محمد حمو: مصدر سابق، ص35.

** يعقوب صنوع: (1839-1912) كاتب مسرحي مصري، درس في ايطاليا، وشاهد الفرق المسرحية، وقرأ المسرحيات بلغتها الأم فانعجب بهذا الفن وقرر نقله إلى بلده. ومن ثم أسس مسرحاً في حديقة الأزبكية عام (1870) وقدم أعمالا مسرحية، برز فيها تأثير المسرح الغربي، ينظر: حورية محمد حمو: مصدر سابق، ص76.

(2) رياض عصمت: مسرحية طائر الخرافة وأربع مسرحيات أخرى،(دمشق: المطبعة التعاونية،1974)، ص78.

*** رياض عصمت: كاتب مسرحي سوري ولد عام 1947 في أسرة متوسطة الحال تربي أولادها تربية رصينة. بدأ الكتابة عام 1967 حين كانت رياح التجديد تعصف بالمسرح العربي من مؤلفاته المسرحية (الخسوف) و(الكسوف) و(لعبة الحب) و(الثورة) و(السندباد) ويشغل الآن منصب وزير الثقافة في سوريا. ينظر: فرحان بلبل: من التقليد إلى التجديد في الأدب المسرحي السوري، (دمشق: المعهد العالي للفنون المسرحية، 2002)، ص ص489 _ 491.

(3) عبد الستار إبراهيم: الاكتئاب،(الكويت: عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1998)، ص10.

(4) المصدر السابق نفسه: ص 15.

(5) المصدر السابق نفسه: ص17.

* توفيق الحكيم: وكاتب ومؤلف وناقد مسرحي درس الادب في فرنسا له الكثير من المؤلفات المسرحيه منها (شهرزاد)،(بجيمالون)، (الايدي الناعمه)،(لعبة الموت)، (اشواك السلام)، (رحله الى الغد)

نجد ثلاث لصوص يحاولون سرقة محل مجوهرات، ويختبئون في شقة (يحيى) وهو دكتور في مجال علم النفس الذي يحاول أن يعيد لهم صوابهم لكن دون جدوى وفجأة يجد نفسه متورط مع هذه العصابة.

"**يحيى: أنا اقصد من الناحية النفسية... افرض مثلاً إني قمت بعمل من الأعمال السيئة... كذبت مثلاً كذبة تسبب عنها ضرر لإنسان... في الحالة دي طبعاً لايمكن يكون شعوري رضا عن نفسي... وإلا إيه؟**"[1]

ويحاول من خلال هذا الحوار أن يبين لإفراد العصابة مدى الضرر الذي يلحق بالناس من جراء السرقة، ويحاول أن يقوم بعملية إحياء لضميرهم، وان هذه الحالة اليائسة التي هم فيها من جراء ارتكاب هذه الأعمال المشينة التي هم يقومون بها.

"**يحيى: الشاب البريء أصبحت أيامه معدودة!**"[2]

وتظهر حالة (يحيى) المأساوية على اثر الخطأ الذي ارتكبه إذ أن هناك شاب بريء اتهم زوراً في هذه القضية بدل العصابة التي قامت هي بالسرقة، فدار في أوصاله (اليأس) وكانت في حالة انهيار وحاول الانتحار، تداعياً لهذه الحالة "فالانتحار، ذلك الفعل الذي يتوج قمة عجزه، وإحساسه بـ(اليأس)"[3]

ثالثا: اليأس في المسرح العراقي:

اليأس أحد الموضوعات التي شكلت معالم المسرح العراقي. وحياة المواطن العراقي بشكل خاص. لما يعانيه من أزمات "وإحساس الفرد بان هويته قد تحررت بما فعل فإذا كان مافعل يبعث على الغبطة والإحساس بالانجاز والزهو... تاركاً معه إحساسا بالتكامل والرضا. أو قد يبقى مع الشخص إحساس (اليأس) إن كانت نظرته لماضيه مليئة بالإحباط والضياع والآمال التي خابت"[4] وهذا ما تداعى إليه الفرد العراقي اثر الويلات والحروب. "فالحرب هزة اجتماعية كبيرة ستتمخض عن آثار بالغة الأهمية وتلقي بضلالها الكثيفة على الحياة عموماً وعلى حركة الإبداع خصوصاً"[5] وقد خص الكاتب العراقي موضوعة الحرب لتكون مادة أساسية للأدب المسرحي لفترة طويلة. ونجد في مسرحيات (فلاح شاكر)* مادة غنية في حالات (اليأس) التي مر بها الفرد العراقي.

"**تعودي زوجتي اهكذا استقبل بعد كل هذه السنوات من الأسر، هكذا نلتقي كنت احلم بألف صورة وصورة للقائنا.**"[6]

وتظهر لنا صورة من صور الحرب التي تجسد ثيمة رئيسية لأزمات الحرب ويظهر (الأسير) وهو في حالة مأساوية إذ إن زوجته لاتريد أن تعترف به زوجاً لها، وهو في حالة يأس وتألم على كل قطرة نزف بها من اجل أن يجد أملا للعودة. إلا أن المرأة تصر بأنه لايشبه زوجها، أو انه تغير:

"**الأسير: تغيرت، لم لا أتغير وعزرائيل يتنزه بأنفاسي، يرعبك الزفير لأنك تخاف أن يتبعه آخر شهيق؟!...**"[7]

ونلاحظ رعب الحرب التي تجعل المرء في هذه الحالة المحتدمة من (اليأس)، الحرب التي هم فيها لاحول ولاقوة، هذه المشكلة الكبيرة "فإذا نجحنا في حل المشكلة فإننا نشعر بالراحة والزهو والانتصار. أما إذا فشلنا في حلها فإننا نشعر

(1) توفيق الحكيم: الورطة،(القاهرة: مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، 1977)، ص62.
(2) المصدر السابق نفسه: ص148.
(3) عبد الستار إبراهيم: مصدر سابق، ص20.
(4) عبد الستار إبراهيم: الإنسان وعلم النفس،(الكويت: سلسلة عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1985)، ص152.
(5) علي مزاحم عباس: أزمة النص المسرحي، الموسوعة الصغيرة 173،(بغداد: دائرة الشؤون الثقافية العامة، 1986)، ص69.
* فلاح شاكر: كاتب مسرحي عراقي ولد عام (1960) في مدينة البصرة له العديد من المسرحيات منها (ألف قتيل وقتيل)، (ليلة من ألف ليلة)، (ألف أمنية وأمنية)، (قصة حب معاصرة)، (اكتب باسم ربك).
(6) فلاح شاكر: الجنة تفتح أبوابها.. متاخرة،(غير منشورة، مطبوعة بالة الحاسوب)، ص2.
(7) المصدر السابق نفسه: ص2.

بـ(اليأس). وإذا استمرت الحياة تواجهنا مشاكل لا حل لها فالنتيجة إن (اليأس) والشعور بالعجز عن التحكم في دقة الأمور يصبح جزءاً تابعاً من شخصياتنا"[1] فكتب لهذا (الأسير)إن يحل موضوع الحرب " فهو عديم الجدوى إلى حد (اليأس)، بل هو غير قادر حتى على مسايرة الحياة"[2] هو لايريد سوى الزوجة التي طالما تأمل العودة لها. وهو الآن في لحظة انقطاع الأمل. وفي مسرحية (سيمفونية الجسد والموت) وهي مسرحية للكاتب المسرحي (قاسم مطرود)* نجد إن تداعي (اليأس) من جراء الضغوط التي وضعت على كاهل الرجل.

وهذه نفايات المدينة التي اسكن فيها وحدي بعد أن هجرتني زوجتي التي أخذت ابني معها...

لقد ملت البقاء معي، لأني لا استطيع أن اكسب قوتي[3]

إن الزوجة ملت البقاء مع هذا الرجل، أي إن الزوجة كانت في حالة يائسة من الرجل، الذي لا يستطيع أن يكسب قوت عيشه، " أليس الحب والبغض والخوف والرجاء و(اليأس) والاحتقار والغيرة والندم والإعجاب والرحمة مادة الحياة"[4].

ما أسفر عنه الإطار النظري:

1. يعتبر الموت عن طريق الانتحار هو أعلى درجات اليأس، إذ أن الانتحار ينتج عن الإحباط واليأس المتراكم الذي يصيب الإنسان. فيلجأ إلى الانتحار لكي يتخلص من حالة اليأس.
2. ينتج اليأس عن طريق الاضطراب العقلي الذي يتعرض له الإنسان عن طريق عدم التأقلم في الحياة اليومية.
3. ينتج اليأس عن طريق انقطاع الأمل في الحياة على اثر العوامل التي تحيط بالإنسان. العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.
4. ينتج اليأس عن طريق انقطاع الأمل فيمن نحب.
5. يتولد اليأس في الإنسان من جراء الضغوط البيئية التي تصيب الفرد ولعل العامل السياسي له دور كبير في هذه الضغوط، من جراء قوانين السلطات الجائرة (التعسفية) التي لا طاقة للفرد في احتمالها. فيصاب الإنسان بإكتئابات نفسية ينتج عنها اليأس.
6. يلعب العامل الاقتصادي السيء دور مهم في تولد اليأس لدى الناس.
7. هناك حالات من اليأس أشبه ما تكون حالات مؤقتة (اليأس المؤقت) مثل الحالات تصيب الإنسان من عدم اتخاذ القرار السليم والصائب في الوقت المناسب.
8. الوحدة أو العزلة من الاسباب التي تتسبب للإنسان باليأس.
9. هناك أنواع من اليأس. فهناك اليأس الذي يصيب الإنسان في مرحلة الشباب، وهناك اليأس الذي يصيب الإنسان في مرحلة عمرية متقدمة فيسمى بـ(سن اليأس).

(1) عبد الستار إبراهيم: الإنسان وعلم النفس، مصدر سابق، ص176.

(2) سيلفانو اريتي: الفصامي كيف نفهمه ونساعده، تر: عاطف احمد، (الكويت: عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،1991)، ص27.

* قاسم مطرود: كاتب ومخرج عراقي ولد في بغداد عام (1961)م وعمل في مجال الصحافة له العديد من المؤلفات المسرحية منها (ليس عشاءنا الأخير) (مواطن) (موتى بلا تأريخ) (هروب قرص الشمس)(حاويات بلا وطن). درس الإخراج في معهد الفنون الجميلة عام 1979 ثم في كلية الفنون الجميلة في بغداد عام 1994 ومازال يمارس نشاطه الأدبي في لندن.

(3) قاسم مطرود: سيمفونية الجسد والموت، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 2007) ص8.

(4) شكري محمد عياد: المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين،(الكويت: عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،1993)، ص100

المبحث الثالث: تحليل العينات

مسرحية (طقوس وحشية)

تأليف: قاسم مطرود

قصة المسرحية:

أن مسرحية (طقوس وحشية) للكاتب المسرحي قاسم مطرود، تدور أحداثها بين ثلاثة شخصيات، والتي حاولت أن تعكس الفترة المظلمة التي مر بها الإنسان العراقي، فقد عبرت شخصياتها عن الأحداث المؤلمة التي يمر بها الإنسان العراقي من خوف وقهر وظلم، وقد تخللت في ثناياها مشاهد دموية وكما حملت في طياتها الصور الوحشية والبربرية، التي عبر عن أن قتل الإنسان هو شيء مباح.

تحليل المسرحية:

لقد ارتمت مسرحية (طقوس وحشية) في أحضان مسرح اللامعقول، وكانت اللغة المستخدمة فيها مشفرة، تخللتها جوانب عديدة من الحالات التي يتداعى (اليأس) فيها بشكل لا إرادي (لاشعوري) فقد بنى الكاتب هذه المسرحية على شخصيات ثلاث. وهي شخصية (الرجل) وشخصية (المرأة) وشخصية (الرجل الصامت) الذي لا يجيد الحديث، ولا يقوم سوى بزج الأشياء إلى خشبة المسرح. ليحاول أن يرسم لنا صورة متبعثرة تكتمل في نهاية المسرحية. أن حالات (اليأس) قد وجدت في مفردات عديدة، والتي تعد هي عاملاً مكملاً أو إنها الأشياء التي توصل الإنسان إلى حالة (اليأس). ولم تكن هذه الحالة تصيب إحدى الشخصيات بل كانت جميع الشخصيات تنطوي في حالة (اليأس). وفي حوار المرأة في بداية المسرحية.

المرأة: كيف دخلتما

الرجل: من ثقب الباب [1]

فان الكاتب يريد أن يوصل فكرة للمتلقي انه وان أقفلت جميع الأبواب والشبابيك في منازلكم فان هناك ثقب وان كان صغير فان (اليأس) والألم والخوف سوف يدخل إليكم لامحال. فانتم جزء من هذا المكان فيجب أن تتأثروا بهذا الظلم المحدق إليكم وان كنتم قد ارتميتم بين أربعة جدران.

إضافة إلى ذلك فان هناك الأزمات النفسية التي سيوجهها الإنسان إذا شعر بالوحدة والعزلة بين أربعة جدران فان الشيء هو حالة من حالات (اليأس)، ونجد أن الخوف سيتغلغل إلى أعماق هذا الإنسان المنعزل

الرجل: فات الأوان

المرأة: لكنني خائفة [2]

فالرجل يحاول أن يزيل الخوف عن المرأة لكن هذه المرأة هي خائفة من هذا الرجل الذي دخل من ثقب الباب.حاول قاسم مطرود أن يرسم صورة عبثية من خلال التنقلات التي تقوم بها شخصيات المسرحية التي تتجسد العديد من الشخصيات والتي تحاول أن تظهر القسوة والألم و(اليأس) الذي يصيب الإنسان، من جراء الظروف التي أنتجت هذا النوع من الأناس الذين يتلذذون بدماء الآخرين كأنهم مصاصي دماء لكن الفرق بين الاثنين هؤلاء يقتاتون على دماء الآخرين في وضح النهار.

الرجل: أنا الذي يرجوك بان تجعلني أكمل مهمتي بلا تعب (برهة) الجثث طفت فوق سطح البحر وملأته باستغاثة، هدمت شواهد القبور، القتلة لم يبقوا حياً على البسيطة، إنهم يقتلون بلا رحمة ويسرقون الإنسان ثم يتفننون في قتله[3]

(1) قاسم مطرود: طقوس وحشيه، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 2007)، ص34.
(2) المصدر السابق نفسه، ص39.
(3) المصدر السابق نفسه، ص44.

أن الخوف من فكرة الخوف من الموت أو القتل هو جانب من جوانب تحمل حالة من حالات (اليأس) الذي يتداعى بصورة لاشعورية، فان مجرد التسليم إلى هذه الفكرة فان (اليأس) سوف يصيب الإنسان ويعمل حاجزاً أما تقدمه نحو خطوات واثقة وثابتة لتحقيق رغباته وغاياته. ورغم هذه الأمور من (اليأس) والاضطهاد فقد ادخل قاسم مطرود جانب رومانسي

الرجل: مازلت اسعد حين تقول لي إحداهن انك مازلت شاباً

المرأة: حقاً انك مازلت تنبض بالشباب[1]

رغم أن هذه الرومانسية لم تدم طويلاً فقد عاد وأقحمها بحالة من حالات (اليأس) من الحبيب المنتظر، الغائب عن الحبيب وهي هذه المرأة التي تنتظر زوجها وقد احتدم بها حالة (اليأس) ومن أن غيابه لأرجعه فيه إلى أحضانها. أي الكاتب أراد أن يوصل فكرة أن هذه الأمور التي تتخللها العواطف يجب أن نكتبها في أعماقنا. فيجيب الرجل كلماتك لاتسعدني لأنها ممزوجة بالخوف، وهذه عودة إلى نقطة البداية. أي يجب أن نبقى في هذا الترقب من المجهول الذي يحيط بنا ونحن في حالة يائسة نعجز بها أن نصنع شيئاً. وان نستسلم على حد قول قاسم مطرود على لسان شخصية المرأة "**كخروف يذبح في مأتم**"

تحاول شخصية الرجل أن تجعل شخصية المرأة في حالة رعب وقلق دائم ومستمر، بمحاولة مد هذه الشخصية بأكبر قدر من حالات (اليأس) أو ليس كلمة (سأهرب) هي كلمة داعية إلى (اليأس) ونلاحظ أنها تتكرر أكثر من مرة على لسان شخصية المرأة العاجزة الضعيفة التي لاحول لها ولاقوة. ومن أين هذا الهروب امن الواقع أم من البيئة المحيطة أم من المجهول أم من الموت الذي لا يموت.

بدأت شخصية المرأة بإعطاء تبريرات غير منطقية، فقد تقوقعت في أعلى درجات (اليأس) وبدأت تردد "**انه الرعب نفسه**" وتقول إنها تخاف الموت وهي في حالة يائسة إذن دقت الساعة. أي إنها تنتظر الموت في أي لحظة.

لقد جسدت هاتين الشخصيتين شخصيات عديدة منها المعلمة والشرطي والزوج والزوجة والأب والابن والطبيب والمريض. أراد الكاتب أن يزج بجميع شرائح المجتمع. كان البيئة المحيطة هي التي أفرزت هذا التباين بين الأفراد وجعلت كل من هذه الأفراد في بودقة يتصارع مع حالات (اليأس) التي تصيب دون أن يعلم (لماذا) هذا هو السؤال؟ لماذا المجنون يصل إلى الجنون؟ لماذا الإنسان المظلوم يزج خلف القضبان؟ لماذا هذا الطفل يعامل بقسوة؟ لماذا الخيانة؟ هذه هي التساؤلات التي يطرحها قاسم مطرود. كيف يصل الشخص الذي يحن إلى قتل زوجته دون أن يشعر من تكون ولماذا اقتلها، أن الظروف القاهرة والهروب من الواقع إضافة إلى عامل (اليأس) الذي يتجسد بقتل الإنسان، وان هذا الإنسان الذي خلف القضبان في حالة من (اليأس) كونه لايعلم ما هو السبب الحقيقي الذي أوصله إلى هذا السجن وهل هو جاسوس كونه لا يحمل هوية تعريفية. أراد أن يوضح قاسم مطرود هي ورقة لا لغة أو لهجة يمكن من خلالها أن نحدد هذا من أين أو من أين. فكيف لايكون الإنسان في حالة يائسة كونهم أرادوا أن يجردوا انتمائه إلى هذا الوطن الذي أصبح من فيه غرباء عن أنفسهم حتى. وما ذنب هذا الطفل يعامل بقسوة كون أن أباه في حالة (يأس) من الواقع. وحتى الطفل الذي بات في حالة (يأس) إذ انه يكره أباه ويمقته. لماذا الزوج ولا يحاسب وبالمقابل تحتدم الزوجة في حالة من حالات (اليأس) إذ إنها وان فكرت في هذا الشيء فستحاسب حساباً عسيراً. ولا نجد سوى قضية واحدة تخلصنا من هذه الحالات اليائسة.**المرأة: انه يجرجرني إلى الموت**

الرجل: يجرك إلى الخلاص [2]

فكيف يكون الموت وهو في مجرد التفكير به تعتبر حالة من حالات (اليأس) أن يكون الخلاص. أي لكي نتخلص من جميع حالات (اليأس)، فهناك حالة (يأس) واحدة الموت هي الطريق نحو الخلاص.وقد تضمنت هذه المسرحية (طقوس

(1) المصدر السابق نفسه، ص46.
(2) المصدر السابق نفسه، ص 78.

وحشية) شخصية ثالثة ألا وهي شخصية الرجل الصامت الذي يحاول أن يرسم صورة (اليأس) بشكل واضح أو يحاول إثارة الرعب فيدخل إلى خشبة المسرح وهو لا يتحدث مجرد أن يقوم بوضع أو إزالة الأشياء التي وضعها ففي الدخول الأول له نراه يدفع بعربة ربط فيها رجل مغطى بالقماش لإيصال فكرة انه قد انتهى من هذا الرجل بعد أن وصل إلى حالة من حالات (اليأس) وهو الموت. ومن ثم يدخل على إيقاع المارش العسكري ماسكاً بيده سجل كبير يسلمه إلى شخصية (الرجل) فارا دان يوصل إلى المتلقي فكرة أن هذه المعلومات الأمنية التي وصلت إليهم عن هذه المرأة اليائسة. ومن ثم يدخل ويضع ساطوراً وسكين على السرير. أي أن الساعة قد حانت لقتل هذه المرأة. ومن ثم يدخل ويضع أكياس من النايلون. وبعد قتل هذه المرأة التعسة البائسة سوف نضعها في هذه الأكياس.

ومن ثم يدخل ليرمي حقيبة مدرسية إلى المرأة. وأراد الكاتب أن يوضح فكرة مفادها أن جميع الناس الذين يعيشون في العراق وان كانوا أطفال في المدارس سوف تصيبهم هذه الأمور (القتل) وإنهم أيضا في حالة يائسة.

وفي دخوله التالي فان الرجل الصامت يرتدي مريله طبخ ويدفع بعربة صغيرة تحمل فناجين قهوة. إضافة إلى قطعتي قماش. وهذه الصورة توحي إلينا أن حتى فنجان القهوة فهو ينتابنا بشيء من القلق ويمكن أن يؤدي بنا إلى الموت والقماش هنا إشارة الموت (الكفن) فعلينا ألا نغفل عن ابسط الأشياء وهذا يدعوا إلى أن يكون المرء (يائس) حتى في اقرب الأشخاص من حوله فقد يكون الخطر المحدق بنا.

ثم يدخل الرجل الصامت دخلات متعاقبة يحمل طشتاً (انيه لغسل الملابس) كبير ثم يحمل وعاء كبير ثم وعاء صغير ثم أكياس نايلون كبيرة ثم يدخل ويعلق مناشف ثم يتكلم الرجل الصامت "**اقتربي، سنأكل معاً**"[1] وتصل إلينا الفكرة إنهم سيقتاتون على هذه المرأة والمرأة ترد كابوس كابوس أليست الكوابيس هي محاولة هروب من القضايا اليائسة التي تراود الإنسان، وهناك بعض الحقائق التي نود بان تكون كابوس لأننا في حالة (يأس) من مواجهتها ولا نملك القدرة على تخطيها.

تحليل مسرحية (مجرد نفايات)

تأليف: قاسم مطرود

قصة المسرحية:

تدور فكرة هذه حول شخص مظلوم يزج به بالسجن بسبب أخيه، الذي هو الآخر لم يفعل شيء سوى انه مزق صورة. فيظلم هذا الشخص ويعذب حتى سلب منه إرادته. وهذه المسرحية كدعوة إلى الذين خانوا الوطن أو تسببوا في موت الآخرين أو إيذائهم، بان يفكروا بالانتحار وان لم يستطيعوا فليرموا أنفسهم في اقرب حاوية نفايات أو ليعترفوا أمام الجميع بأخطائهم ويطلبوا منهم الغفران. وهي مسرحية منودرامية

تحليل المسرحية:

لقد امتازت مسرحية (مجرد نفايات) بإثارة النزاعات الداخلية لشخصيتها المسرحية، أي أن احتوت على شخصيتين في شخصية واحدة كانت الأولى تمثل جانب الضمير الحي الذي يعمل كمراقب للأفعال الشخصية الخارجية التي انتابها (اليأس) والضعف الهوان من جراء الأفعال التي اقترفتها من اجل الخلاص من العقاب الذي لحق بها جراء التعذيب. إذن هذه المسرحية هي أشبه بصراع نفسي داخلي خارجي يكون فيها الشخص المتهم والقاضي في نفس الوقت.

هجرتني زوجتي التي أخذت ابني وابنتي معها، لقد مللت البقاء مع جسد غادرته الحياة.[2]

لقد أصبحت الزوجة في حالة (يأس) من زوجها الذي بدا كالمجنون، لايصنع شيء سوى تمزيق كتبه ومؤلفاته ومقالاته، ويعترض على كل شيء مكتوب فيها كونها زيف لايمت للواقع بصلة. وتقول له الزوجة، اعذرني أن أبلغتهما بأنك مت إذن الزوجة في اشد حالات (اليأس) من زوجها، ويبقى الزوج يصارع أزمات (اليأس) التي تنتابه. وتبدأ صراعاته بين السؤال والجواب حتى يصل إلى الحالة التي يتمنى بها الموت. وكان (اليأس) في هذه اللحظة موجود بشكل واضح

(1) المصدر السابق نفسه، ص 95.

(2) قاسم مطرود: مجرد نفايات، الحيات المسرحية،(دمشق: مجله فصليه عن وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، عدد 63، 2008) ص122.

وصريح، انه يتمنى أن يموت على الآثام التي ارتكبها. لكي يتخلص من عذابات السجن وتعذيب جسده وافق على أن يقوم برمي الرصاص على سجناء وإعدامهم وهو يعلم ويوقن أنهم أبرياء. إذن من الذي دفعه إلى عملية القتل؟ (اليأس) هو الذي دفعه إلى ارتكاب هذه الجريمة، فبعد أن أيقن أن حياته فانية كان هناك بصيص أمل، اخبروه إذ شارك في إعدام هؤلاء المساجين سوف ينال حريته. إذن كانت عملية القتل عملية قائمة على أساس الخلاص من حالته اليائسة. وبعد أن يخرج من السجن يرتمي في بودقة تأنيب الضمير وإذا به في حالة اشد من حالة (اليأس) السابق

أنا خائف ليس لدي الشجاعة لمواجهة الصعاب [1]

ويفكر هذا الرجل بالانتحار الذي هو اشد حالات (اليأس). لكن لماذا لايشرع في هذا الأمر.

أنا خائف أن احرق نفسي وانتحر انه أصعب مما كنت أتصور [2]

الخوف هو الذي يقف حاجز بين عملية الانتحار التي يشرع بها هذا الشخص أكثر من مرة، فتارة يريد أن يشنق نفسه بحبل، وتارة أخرى يريد أن يطعن نفسه بسكين، ثم يليها بفكرة انتحار جديدة هي الحرق. إذن الخوف عامل من عوامل (اليأس) التي لم تفارق هذا الرجل.

لقد نعت نفسه في مرات عديدة انه جبان ولا يقوى على مواجهة الصعاب التي حلت به، وفي نفس الوقت يريد الخلاص من الآلام الجسدية، فيدلهم على مكان اختباء أخيه ويشي به، إذن وصل إلى درجة بالغة من (اليأس) فهو يظلم أخاه لكي ينجو بجسده. وكان أخاه من بين الملتصقين إلى الجدار وفي انتظار إعدامه رمياً من رصاصات أخيه. إذن هو يقتل أخاه لكي يتخلص من حالة (يأس) آنية لكي يرتمي في حالة (يأس) دائمية وتطارده وتبقى معه كمشكلة أزلية لا يستطيع الخلاص منها إلا عن طريق الانتحار.

علي أن أمحو كل اثر له فلأمزق أوراقه الثبوتية وكل ما يدل على بقائه أو يعطيه شرعية الوجود[3]

يتكلم الآن بصيغة المخاطب الضمير الحي الذي بداخله إلا أن الانتحار لا يستطيع أن يتغلب على حالة (اليأس) المستعصية في هذا الرجل ويريد أن يمزق أوراقه الثبوتية لكي لايعطي لنفسه شرعية الوجود. ويتداعى (اليأس) بصورة أوضح حينما يطلب من نفسه أن يرمي نفسه في برميل النفايات

حان الآن وقت الفناء احمل جسدك يا هذا وضعه في برميل النفايات عسى

أن يرمى في مزبلة تتبول عليها القطط والكلاب، مثلي الموت له ارحم بكثير من هذا العذاب...[4]

أراد الكاتب أن يوصل هذه الحالة المتفاقمة من حالات (اليأس) إذ أن حتى الموت لهذا الرجل ارحم من العذاب الذي يحياه، وان هذه الحالة من (اليأس) التي تتجسد بالموت أصبحت أيضا حالة (يأس) فهو لا يستطيع الحصول على الموت.

(1) المصدر السابق نفسه، ص125.
(2) المصدر السابق نفسه، ص126.
(3) المصدر السابق نفسه، ص127.
(4) المصدر السابق نفسه، ص127.

الفصل الرابع

النتائج:

6- اشد حالات اليأس هو الموت المتمثل بعملية الانتحار. كمى في الينتين (1) و(2.)

7- للعوامل البيئية اثر بالغ في شدة حالة اليأس.كما في العينة (1).

8- كان للعامل الاقتصادي اثر بالغ في تداعي اليأس.كما في العينة (2).

9- أن الأمراض النفسية التي تصيب الإنسان. ومن بينها مرض اليأس كان نتيجة قسوة الحياة على الفرد كما في شخصية الزوجة في العينة (1)

10- عاش الفرد اليائس اغتراب ذاتي. مثال الاسير في العينة (1)

الاستنتاجات:

1. استطاع (قاسم مطرود) أن يوازن بين العبث وإرهاصات النفس الداخلية كونهما طريق واحد ينتهي باليأس.
2. أن (قاسم مطرود) كان يعتبر القتل عملية إرادية للخلاص من حالة يأس الإنسان الذي يتخلله الضعف والوهن.
3. أن الانتحار الذي جاء به (قاسم مطرود) هو عملية لعكس الواقع المرير جراء الضغوط النفسية التي انتجت اليأس ودوافعه.
4. أن منهج (قاسم مطرود) في المسرح هو إعادة نقل الواقع بطريقة عبثية.